

الأحد 02 من نوفمبر سنة 2008م - 03 من ذو القعدة سنة 1429هـ - العدد 799

رعوف عباس في صالون المركز القومي للترجمة: استعادة قيمة المترجم الموسوعي

حسن عبد الموجود

منذ فترة طويلة لم تشهد قاعات المجلس الأعلى للثقافة حضورا مكثفا يماثل حضور ندوة "رعوف عباس مترجما" وهو ما يشير إلي أهمية الراحل وتأثيره في مثقفين وزملاء وأصدقاء وتلاميذ احتشدوا في قاعة المجلس تقديرا لإسهاماته في الترجمة والفكر.

أدار الندوة التي أقامها الصالون الثقافي التابع لمركز عماد أبوغازي، بدأ قائلا: في هذه القاعة نفسها منذ عام ونصف العام كنت أجلس إلي جوار أستاذي رعوف عباس في جلسة كان لي الشرف في المشاركة بها، وكانت تدور حول "التاريخ وإعادة إنتاج المعرفة عن العالم العربي" في آخر نشاط للمجلس شارك فيه الراحل، وأعتقد أن التحضير لهذه الندوة في غيابه كان أمرا شديدا الصعوبة علي، غير أن عزاءنا أن من كان في مثل قامة وقيمة رعوف عباس يظل حاضرا أبدا بما قدمه من مساهمة في الارتقاء بالعلم في هذا الوطن وما تركه لتلاميذه المخلصين له، وقد جعله عطاءه العلمي والإنساني وفي العمل العام باقيا بيننا بجسده.

وقال شوقي جلال إن الحديث عن الراحل متعدد الأبعاد، لأنه مثقف متكامل، عالم، وأكاديمي وباحث، ومثقف، ومترجم، يلتزم منهج التفكير العلمي..

وأشار إلي أنه حينما يرغب في الحديث عن دوره كمترجم فإنه سيتحدث عن الترجمة بمعناها الواسع، لا الحرفي، فالحرفية معناها مناقشة مشكلات القواعد اللغوية والنحوية، والصياغة، ولهذا فإنه يقصد الترجمة من حيث هي جهد تنويري، وحفز لأخرين من أجل بناء الوعي، والتماس المعرفة، وهذه الترجمة في رأي جلال-تمثل تجليات لثقافة المترجم وطموحاته ورؤاه، يقول شوقي: "رؤج البعض للبحث الأكاديمي باعتباره منهجا يبعد عن المجتمع، كأن البحث العلمي نشاط ذاتي، وهو ما يذكرنا بمقولة الفن للفن، ومثل هذه النظرية تريد عالما منفصلا عن مجتمعه، ومن ثم يكون المجتمع سلس القيادة، مع أنه يضم علماء يؤمنون بقيمة المجتمع وأن العالم راعي لتفكيره، الأكاديمي بامتياز هو المشارك اجتماعيا، وقد كان الراحل تجسيدا لهذه الفكرة التنويرية، والترجمة تمثل تكملة لنشاطه الفكري، ولهذا كان في مجال الترجمة مثقفا مبدعا، وهي توازي مؤلفاته في كونها تحاول رد الاعتبار للإنسان والوطن، يحاول أن يقول إن تاريخنا ليس هو ما سطره الأجنبي، كما أنه كان يرفض التاريخ الفردي، فالتاريخ يكون مرتبطا دائما بحركة مجموعته، كما كان يؤمن بأن تاريخنا تسوده فترات صمت ينبغي أن نستنطقها" ..

وبدأ الدكتور ناصر إبراهيم _أحد تلاميذ الراحل- حديثه بالإشارة إلي شمولية مشروع عباس، وموسوعية قراءاته. يقول: "سفرياته المتعددة ساعدته علي التواصل مع الثقافات المختلفة، كان حريصا علي إثراء تخصصه بمراجع رصينة يمكن أن تتم إضافتها للمكتبة العربية" .. ويضيف: "من يلقي نظرة علي إنتاجه المترجم يعرف أهمية دوره، وليس الكم وحده هو الأهم مع العلم أن قائمة مترجماته تمثل في حد ذاتها مشروعا قائما بذاته، وإنما هناك أهمية شديدة لمراجعاته، أو مقدماته الإضافية القيمة التي تبرز فن الموضوعية، كان يتخير ما هو مطلوب بشدة للمكتبة الفكرية، يعرف الداء فينهض لتشخيصه، وكانت الترجمة إحدى وسائله الفاعلة لتضييق الفجوة بيننا وبين الآخر، بالأخص في الكتابة التاريخية" ..

ناصر قال إن عباس كانت له فلسفة واضحة في اختياراته: "يمكن تمييز ثلاثة مجالات كان عباس يركز عليها، كتب تتناول موضوعات يندر التأليف فيها، وكتب تثير قضايا خلافية، وكتب تتضمن تقارير ووثائق أجنبية" ويدلّل ناصر على كلامه بعدد من الأمثلة: "في المجال الأول، الكتب النادرة، ركّز علي الأعمال ذات الطابع الثقافي، ومنها "ثقافة الطبقة الوسطى في العصر العثماني، وأيضاً الدراسات المقارنة من خلال دراسته المنشورة بعنوان "التنوير في مصر واليابان" وكان يري أن التاريخ الاجتماعي المقارن يحتاج إلي تدخل موضحاً أهمية هذا النمط، ونوّه إلي أهمية دراسات التاريخ الاستشراقي، وبشّر بأهميتها كمجال جديد في الكتابة التاريخية، وطلب عدم التهيّب من خوض هذا المجال، وراجع كتاب لبول كيندي بعنوان "الشرق الأوسط المعاصر" خاصة بعد نبوءته بسقوط الاتحاد السوفيتي في كتابه "قيام وسقوط القوي الكبرى" الذي صدر عام 88، وكان عباس يستغل المقدمات في توضيح أسس علم الاستشراق حتي يثير الأسئلة حول أهميته مؤكداً أن هذا النوع من الدراسات لم يعد ترفاً.."

وسردت الدكتورة نبلي حنا قصة طلبه ترجمة كتابها "سيرة إسماعيل أبو طافية": "كان منتدبا إلي الجامعة الأمريكية، وأعطيته الكتاب، وطلبت منه القراءة وإبداء الملاحظات، وفعل، غير أنه فاجأني بأنه يريد ترجمة الكتاب، وأثناء الترجمة كان التواصل مستمرا بيننا فقد طلب أن أمده بالوثائق التي اعتمدت عليها، وكنا نتناقش في بعض المصطلحات ونعود إلي المراجع حتي نختار الأنسب للترجمة" وأضافت: "كانت له أهداف من الترجمة أهمها إطلاع القارئ علي أحدث الأعمال بالخارج، أي أن يكون هناك تواصل مع الآخرين، مع طرح الكتب بأسعار في متناول الجميع".

حنا أشارت إلي الطريقة التي كان يترجم بها: "كان يقرأ الكتاب كاملا في البداية ليفهمه، ثم يركّز علي صفتين أو ثلاث، ثم يأخذ فقرة ويبدأ الترجمة، بهذا المعني كان يحدّي الكتاب جانبا، وكان مهتما بنقل الفكرة الموجودة في الفقرة، بمعني أنه لم يكن يعطي أهمية لترتيب الجمل، وإنما لأمانة توصيل الفكرة وسلاسة الأسلوب، هكذا كان يرمي إلي أن يستطيع القارئ فهم الإطار النظري والثقافي للكتاب والمؤلف، وكان يشرح هذا الإطار في هوامش خاصة، وهو ما يمثّل مجهودا إضافيا".

وقال الدكتور جابر عصفور -الذي كان متواجدا بين الحضور- إن كثيرا من ترجمات عباس تمت بإلحاح شخصي منه: "كنت ألجأ إليه أحيانا حتي يكتب مقدمات لبعض الكتب التي لا تتفق مع رؤية مؤلّفها، فنحن لا نحذف شيئا من آراء المؤلف، وإنما نقول رأينا من خلال عباس!"

وأضاف: "كان صاحب رؤية علمية مكّنته من اختيار كتب معيّنّة تتوافق مع مشروعه الفكري، علي العكس من مترجمين كثيرين ينقلون من دون تخطيط لأن الترجمة بالنسبة إليهم مصدر للدخل، وأنا أشك أننا نجد عنده كتابا يتنافر مع منهجه الفكري في الترجمة، لأنه كان إنسانا ملتزما بموقفه الفكري، منحازا إلي المجموعات المقموعة، وهو الذي غير نظرنا إلي التاريخ المصري، وقد كنا نتصور أن الحملة الفرنسية هي التي جاءت بالتنوير إلي بلادنا حتي ترجم أعمالا لبيتر جران تخالف هذه الفكرة، وهنا بدأت مدرسة جديدة في النظرة إلي التاريخ، وأعتقد أن بشير السباعي يحدو خطوات عباس في هذا الصدد!"

وقال بيتر جران الذي تحدث حول علاقته بعباس الاسبوع الماضي في ندوة أقامتها الجمعية التاريخية إن عباس كان مهتما بالترجمة في إطاره الفكري، وأنه بمناسبة الحديث عن الترجمة يريد طرح أسئلة تتعلق بتذبذب الترجمة بين مدرستي مصر ولبنان في فترات صعودهما وتراجعهما، وعلاقة ذلك بالسياسة. غير أن الوقت وعدم تمكّن الحاضرين من فهم جران الذي كان يتحدث بصوت خفيض حالا دون مناقشة ما طرحه.

<http://akhbarelyom.org.eg:81/adab/articleDetail.php?x=adab2008&y=799&z=1749&m=7>